# أحوال الناس على الصراط

## وأثر مجالسة الصالحين

خطبة ألقاها


الشيخ أ.د. سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ كرسي الفتوى بالجامعة الإسلامية والمدرس بالمسجد النبوي الشريف


يوم ١٨ ربيع الآخر ١٤٣٩ بالمدينة النبوية

## [الخطبة الأولى]

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يهدِ الله فلا مُضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١]

أمّا بعد: فإنّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار، ثم يا عباد الله:

إن الله ﷻ خلقكم، و﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة:٢٩]، وجعل لكم حياتين: حياةً دُنيا فانية، وحياةً أُخرى باقية، ﴿وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾ [الأعلى:١٧] -يا عباد الله-.

وأوجب عليكم في دُنياكم أن تؤمنوا بأُخراكم، فمِن أركان الإيمان: الإيمان باليوم الآخر، فمِن الفروض اللازمة: أن يؤمن العبد باليوم الآخر وما فيه، بكل ما جاء في كتاب الله، وصح في سنة رسول الله ﷺ، من أخبارٍ عمّا يكون في اليوم الآخر.

ومن ذلكم -يا عباد الله-: أن يوقن العبد إيقانا تامّاً -لا شك فيه ولا ارتياب- أن ربنا ﷻ يجمع الناس يوم القيامة، فيقول: من يعبد شيئاً فليتّبعه، فيتّبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتّبع من كان يعبد القمر القمر، ويتّبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، فلا يبقى من كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار.

فيُدعى اليهود، فيقال لهم: من كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنّا نعبد عزيرَ ابن الله! فيقال لهم: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا ربنا فاسقنا -فيقولون: عطشنا ربنا فاسقنا-، فيشار: ألا تَرِدون؟ فيُحشرون إلى النار، كأنها سراب يحطِم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار.

ثم يُدعى النصارى، فيقال لهم: من كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد المسيح ابن الله! فيقال لهم: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فيقال لهم: ماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا ربنا فاسقنا، فيشار: ألا تَرِدون؟ فيُحشرون إلى النار، كأنها سراب يحطِم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار، فلا يبقى إلا من كان يعبد الله مِن بَرّ أو فاجر.

فيبقى المؤمنون، ومعهم المنافقون، فيأتيهم الله -تبارك وتعالى- في صورةٍ غير صورته التي يعرفون، فيقال: ماذا تنتظرون؟ تتبَع كل أمة ما كانت تعبد، فيقولون: فارَقْنا الناسَ في الدنيا على أفقر ما كنّا إليهم، و لم نصاحبهم، ونحن ننتظر ربنا الذي كنا نعبد، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك! هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، لا نشرك بالله شيئاً، لا نشرك بالله شيئاً -مرتين أو ثلاثاً-، فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون، وبالعلامة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيتّبعونه، ويُضرب الصراط بين ظهرَي جهنم.

والصراط -يا عباد الله- جسر يُنصب على ظهر جهنم، من طرفها إلى طرفها، والنار تلتهب تحته، سوداء مُظلمة، لها حسيس وصوت مُفزِع، والصراط أدقّ من الشعرة، وأحدّ من السيف والموسى، وهو دَحْض، زَلِق، مزَلَّة، لا يثبت عليه إلا من ثبّته الله.

فإنه إذا وُضع الصراط مثل حدّ الموسى تقول الملائكة: من تُجيز على هذا؟ -تقول الملائكة لربها: من تجيز على هذا؟- لدِقّته، وحِدّته، فيقول: من شئتُ من خَلقي، فيقولون: سبحانك! ما عبدناك حق عبادتك.

ويكون المؤمنون والمنافقون في الظلمة دون الصراط، فيُعطَون نوراً، يُعطى كل إنسان منهم -منافقاً كان أو مؤمناً- نوراً، أما المنافقون فيُعطَون نوراً ظاهراً، كما كانوا يُظهِرون الإسلام، ثم يُطفَأ نورهم، فإذا رأى المنافقون نور المؤمنين يمشون به، وهم قد أُطفِئ نورهم، وبقوا في الظلمات حائرين، قالوا

للمؤمنين: ﴿ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ﴾ [الحديد:١٣] -أي: أمهلونا، لننال من نوركم ما نمشي به في الظلمات، لننجو من العذاب-، فقيل لهم: ﴿ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗاۖ﴾ [الحديد:١٣] -أي: إن كان ذلك ممكناً، والحال أن ذلك غير ممكن، بل هو من المحالات-، فضُرب بين المؤمنين والمنافقين بسور -أي بحائط منيع، وحِصن حصين- له باب، ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ﴾ [الحديد:١٣] -وهو الذي يلي المؤمنين-، ﴿وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ١٣﴾ [الحديد:١٣] -وهو الذي يلي المنافقين-، فينادي المنافقون المؤمنين، فيقولون لهم تضرّعاً واستعطافاً لهم: ﴿أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ﴾ [الحديد:١٤] في الدنيا، نقول: لا إله إلا الله، ونصلي ونصوم، ونعمل كما تعملون؟ ﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الحديد:١٤]، كنتم معنا في الدنيا، وعملتم في الظاهر مثل عملنا، ولكنّ أعمالكم أعمال المنافقين، من غير إيمان ولا يقين، ولا نية صالحة، بل وأنتم في قلوبكم ﴿تَرَبَّصۡتُمۡ﴾ [الحديد:١٤] بالمؤمنين، ﴿وَٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ [الحديد:١٤] وشككتم في خبر الله الذي لا يقبل شكّاً، ﴿وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ﴾ [الحديد:١٤] الباطلة، حيث تمنّيتم أن تنالوا مِثل المؤمنين وأنتم على النفاق، ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [الحديد:١٤]، فجاءكم الموت وأنتم على نفاقكم، وغرّكم بالله الشيطان، ﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ [الحديد:١٥] -ولو افتديتم بما افتديتم-، و﴿مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ﴾ [الحديد:١٥] -فمستقرّكم النار-، ﴿هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ﴾ [الحديد:١٥] التي تتولاكم، وتضُمّكم إليها، ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٥﴾ [الحديد:١٥] النار.

وأما المؤمنون -يا عباد الله-: فيُعطون نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من يُعطى نوره مثل الجبل بين يديه، ومنهم من يُعطى نوره فوق ذلك، ومنهم من يُعطى نوره مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يُعطى نوره دون ذلك، حتى يكون آخر من يُعطى نوره على إبهام قدمه، يُضيء مرة ويُطفئ مرة، فإذا أضاء قدّم قدمه، وإذا أُطفئ قام وثبت.

ويمرّون على الصراط، فيقال لهم: أُنجوا على قدر نوركم، وللصراط كلاليب وخطاطيف تأخذ الناس، فمنهم من يمرّ كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمرّ كالطرف -أي كنظرة العين-، ومنهم من يمرّ كالريح، ومنهم من يمرّ كحُضر الفرس -أي كعَدو الفرس-، ومنهم من يمرّ كشَدّ الرّحل -أي كمن يركب على الرّحل، كمن يركب على البعير-، ومنهم من يمرّ يسعى سعياً، ومنهم من يمرّ يرمُل رمَلاً، ومنهم من يمرّ يمشي مشياً، ومنهم من يمرّ يحبُو حَبواً، ومنهم من يمرّ يزحَف زَحفاً، فيمرّون على قدر

أعمالهم، حتى يمرّ الذي نوره على إبهام قدمه، تخِرّ منه يدٌ وتَعلَق يدٌ، وتخِرّ رِجل وتَعلَق أُخرى، وتُصيب جوانبَه النار.

فإذا خلَصوا قالوا: الحمد لله الذي نجّانا منكِ بعد الذي أرانا، لقد أعطانا الله ما لم يُعطِ أحداً -الحمد الله الذي نجّانا منكِ بعد الذي أرانا، لقد أعطانا الله ما لم يُعطِ أحداً-.

والرسلُ عليهم السلام يجتازون، ويكون أولهم اجتيازاً محمداً ﷺ، ويكونون على جنبتي الصراط، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل عليهم السلام، وقولهم: اللهمّ سلِّم سلِّم، اللهمّ سلِّم سلِّم.

وتُرسَل الأمانة والرَّحِم، فتقومان على جنبتي الصراط يميناً وشمالاً، وذلك لعظم شأنهما، وعظم حقهما، فمن أدّى الأمانة في الدنيا ووصل الرحم في الدنيا نجا، ومن لم يفعل لم يسلَم.

فيكون الناس على الصراط -يا عباد الله- ما بين ناجٍ مُسلَّم لا تصيبه النار، ولا يسمع حسيسها، وناجٍ مخدوش تصيبه النار، ولكنه ينجو منها، ومكدوسٍ في نار جهنم واقعٍ فيها، وقد جُمعت يداه ورِجلاه، خَرَّ ورأسُه إلى أسفل، ورِجلاه إلى أعلى.

فآمنوا -عباد الله- بالصراط وأحوال الناس عليه إيماناً لا شك فيه، واعلموا -رحمني الله وإياكم- أن السلامة والنجاة على الصراط يوم القيامة إنما تكون بمقدار الثبات على صراط الله في الدنيا، فبقدر عملك -يا عبد الله- يكون مرورك على الصراط، فأحسِن عملك، أحسِن عملك، واجتهِد في الإخلاص، والمتابعة لرسول الله ﷺ، لتكون من الناجين.

ثم إذا نجا المؤمنون من ذلك فإنهم يُحبَسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيُقَصّ لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا بالحسنات، حتى إذا هُذِّبوا ونُقّوا أُذِن لهم في دخول الجنة.

وهذا القصاص بين المؤمنين -يا عباد الله- إنما يكون لِلَّذين لا تُفني الحقوق التي عليهم حسناتهم، أما الذين تُفني الحقوق التي عليهم حسناتهم، ويُطرح عليهم من سيئات خصومهم، فإنهم يُطرَحون في النار -والعياذ بالله-.

ألا فاتقوا الله -عباد الله-، واعملوا لما يُنجيكم في ذلك اليوم.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

## [الخطبة الثانية]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فيا عباد الله:

إن مجالسة الصالحين في الدنيا خير كلها، ومن أعظم خيرها -يا عباد الله-: أن المؤمنين إذا اجتازوا الصراط، ورأوا أنهم قد نجَوا، تذكّروا إخواناً لهم، فيقولون: ربنا إخوانَنا، كانوا يُصلّون معنا، ويصومون معنا، ويَعملون معنا، فيقول الله تعالى: اذهبوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه -أي: من النار-، ويحرِّم الله صُوَرهم على النار، فيأتونهم وبعضهم قد غاب في النار إلى قدميه، وإلى أنصاف ساقيه، فيُخرِجون من عرفوا، ثم يعودون، فيقول ربنا الرحيم: اذهبوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه، فيُخرِجون من عرفوا، ثم يعودون، فيقول ربنا الرحيم ﷻ: اذهبوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه، فيُخرجون من عرفوا.

فاستكثِروا -عباد الله- من الجُلساء الصالحين، وخالطوهم، فإنكم لن تُعدَموا خيراً منهم في الآخرة والأولى.

ألا فاتقوا الله -عباد الله- حق التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى، وكونوا -عباد الله- مع الجماعة، وإياكم واتّباع الأكاذيب والإشاعة، ولا تنقُلوا إلا ما علمتم صدقه وخيره، اتقوا الله -عباد الله-، واستمسكوا بدين الله، فإن النجاة مما أمامكم إنما تكون بفضل الله على قدر أعمالكم.

ثم اعلموا -رحمني الله وإياكم- أن الله أمرنا بأمر بدأ فيه بنفسه، ثم ثنّى بملائكته، فقال -عز من قائل-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦].

وقال النبي ﷺ: «من صلى عليّ صلاةً واحدةً» -من صلى عليّ صلاة واحدة- «صلى الله عليه عشراً».

فاتقوا الله -عباد الله-، وأكرموا أنفسكم بالإكثار من الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

فاللهمّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وسلِّم تسليماً كثيراً.

وارضَ اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارضَ اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارضَ اللهمّ عن الصحابة أجمعين، وارضَ عنّا معهم بمنّك وكرمك يا أكرم الأكرمين.

اللهمّ اجعلنا ممن رضيت عنهم يا رب العالمين، اللهمّ اجعلنا ممن رضيت عنهم يا رب العالمين، اللهمّ اجعلنا ممن رضيت عنهم يا رب العالمين.

اللهمّ ثبِّتنا في الدنيا على دينك، وثبِّتنا في الآخرة على الصراط وسلِّمنا، اللهمّ ثبِّتنا في الدنيا على دينك، وثبِّتنا في الآخرة على الصراط وسلِّمنا، اللهمّ ثبِّتنا في الدنيا على دينك، وثبِّتنا في الآخرة على الصراط وسلِّمنا.

إلهنا، إنا آمنّا بأن رحمتك وسعت كل شيء، وأن رحمتك سبقت غضبك، وغلبت غضبك، وإنا عباد مُذنبون، مُقصّرون، مُقرّون بذنوبنا، اللهمّ فبإيماننا ارحمنا واغفر لنا، اللهمّ ارحمنا واغفر لنا، اللهمّ ارحمنا واغفر لنا، اللهمّ لا تحرم منا أحداً.

اللهمّ أنزل رحمتك علينا أجمعين، اللهمّ أنزل رحمتك علينا أجمعين، اللهمّ أنزل رحمتك علينا أجمعين، اللهمّ لا تحرم منا أحداً، اللهمّ لا تحرم منا أحداً، اللهمّ لا تحرم منا أحداً.

اللهمّ من علمته منا على خير وهدى وسنة اللهمّ فثبّته على ذلك يا رب العالمين، ومن علمته على معصية اللهمّ فكرّهه فيها رب العالمين، اللهمّ فكرّهه فيها يا رب العالمين، اللهمّ فكرّهه فيها يا رب العالمين، اللهمّ من علمته منا مهموماً فأزِل همه وفرِّج كربه يا رب العالمين، اللهمّ من علمته منا مديناً فاقضِ دينه يا رب العالمين، اللهمّ من علمته منا مديناً فاقضِ دينه يا رب العالمين، اللهمّ من علمته منا مديناً فاقضِ دينه يا رب العالمين.

اللهمّ لا تقبض أحداً منا إلا وقد رضيت عنه يا رب العالمين، اللهمّ لا تقبض أحداً منا إلا وقد رضيت عنه يا رب العالمين، اللهمّ لا تقبض أحداً منا إلا وقد رضيت عنه يا رب العالمين.

اللهمّ يا ربنا، نسألك بأسمائك الحسنى، وصفاتك العلى، أن تجمعنا، ووالدينا، وأهلينا، وجيراننا، وأحبابنا، في الفردوس الأعلى أجمعين، اللهمّ اجمعنا في الفردوس الأعلى أجمعين، اللهمّ اجمعنا في الفردوس الأعلى أجمعين.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

والله تعالى أعلى وأعلم، وصلى الله على نبينا وسلم.